لباس العلماء الى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا
واحدا لا يتميز احد عن احد بلباسه ولم يختلف يحيى بن معين واحمد بن حنبل وعلي بن المديني
في ثقته في النقل وذكر ابو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه الانتقاء في
فضائل الثلاثة الفقهاء ان ابا يوسف القاضي كان حافظا وانه كان يحضر المحدث ويحفظ
خمسين ستين حديثا ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث وقال محمد بن جرير الطبري وتحامى
حديثه قوم من اهل الحديث من اجل غلبة الراي عليه وتفريعه الفروع والاحكام مع صحبة
السلطان وتقلده القضا وحكى ابو بكر البغدادي في تاريخ بغداد ان ابا يوسف قال كنت
اطلب الحديث والفقه وانا مقل رث الحال فجاء ابي يوما وانا عند ابي حنيفة فانصرفت معه
فقال يا بني لا تمدن رجلك مع ابي حنيفة فان ابا حنيفة خبزه مشوي وانت محتاج الى المعاش
فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة ابي فتفقدني ابو حنيفة وسأل عني فجعلت
اتعاهد مجلسه فلما كان اول يوم اتيته بعد تأخري عنه قال لي ما شغلك عنا قلت الشغل
بالمعاش وطاعة والدي فجلست فلما انصرف الناس دفع الي صرة فقال استمتع بها فنظرت
فاذا فيها مائة درهم فقال لي الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني فلزمت الحلقة فلما
مضت مدة يسيرة دفع الي مائة اخرى ثم كان يتعاهدني وما اعلمته بخلة قط ولا اخبرته
بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت ثم قال الخطيب وحكي ان والد
ابي يوسف مات وخلف ابا يوسف طفلا صغيرا وان امه هي التي انكرت عليه حضوره
حلقة ابي حنيفة ثم روى الخطيب ايضا باسناد متصل الى علي بن الجعد قال اخبرني ابو يوسف قال
قال توفي والدي وخلفني صغيرا في حجر امي فاسلمتني الى قصار اخدمه فكنت ادع القصار
وامر الى حلقة ابي حنيفة فاجلس استمع فكانت امي تجيء خلفي الى الحلقة فتاخذ بيدي فتذهب
بي الى القصار وكان ابو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم فلما كثر ذلك
على امي وطال عليها هربي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا
شيء له وانما اطعمه من مغزلي وآمل ان يكسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها ابو حنيفة
مري يا رعناء هو ذا يتعلم اكل الفالوذج بالفستق فانصرفت عنه وقالت انت شيخ قد
خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله تعالى به وبالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء
وكنت اجالس الرشيد واكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم الى هرون فالوذجة
بدهن الفستق فضحكت فقال مم ضحكك قلت خيرا ابقى الله امير المؤمنين قال لتخبرني والح علي
فخبرته بالقصة من اولها الى اخرها فتعجب من ذلك وقال لعمري ان العلم لينفع دينا ودنيا
وترحم على ابي حنيفة وقال كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين راسه وحكي عن ابن المحسن
التنوخي عن ابيه عن جده قال كان سبب اتصال ابي يوسف بالرشيد انه كان قدم بغداد
بعد موت ابي حنيفة رحمه الله تعالى فحنث بعض القواد في يمين فطلب فقيها يستفتيه
فجيء بابي يوسف فاتاه فافتاه انه لم يحنث فوهب له دنانير واخذ له دارا بالقرب منه
ودخل القائد يوما على الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال شيء من امور الدين
قد حزبني فاطلب فقيها كي استفتيه فجاءه بابي يوسف فلما دخلت الى ممر بين الدور

رايت

رايت فتى حسنا عليه اثر الملك وهو في حجرة محبوس فاومأ الي باصبعه مستغيثا فلم افهم عنه
ارادته وادخلت الى الرشيد فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال ما اسمك قلت يعقوب
اصلح الله امير المؤمنين قال ما تقول في امام شاهد رجلا يزني هل يحده قلت لا يجب فلما قلتها
سجد الرشيد فوقع لي انه قد راى بعض اهله على ذلك وان الذي اشار الي بالاستغاثة هو
الزاني ثم قال الرشيد من اين قلت هذا قلت لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ادرؤا الحدود
بالشبهات وهذه شبهة يسقط الحد معها فقال واي شبهة مع المعاينة قلت ليس توجب المعاينة
لذلك اكثر من العلم بما جرى فالحد ولا يكون مع العلم وليس لاحد اخذ حقه بعلمه فسجد مرة
اخرى وامر لي بمال جزيل وان الزم الدار فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية امه و
جماعته وصار ذلك اصلا للنعمة ولزمت الدار فكان يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي
يقوى حتى قلدني القضا قلت وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا في انه ولي القضا لثلاثة من الخلفاء
والله اعلم بالصواب وقال طلحة بن محمد بن جعفر ابو يوسف مشهور الفضل وهو صاحب ابي
حنيفة وافقه اهل عصره ولم يتقدمه احد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة
والقدر واول من وضع الكتب في اصول الفقه على مذهب ابي حنيفة واملى المسائل ونشرها
وبث علم ابي حنيفة في اقطار الارض وقال عمار بن ابي مالك ما كان في اصحاب ابي حنيفة مثل
ابي يوسف لولا ابو يوسف ما ذكر ابو حنيفة ولا محمد بن ابي ليلى لكنه هو نشر قولهما وبث علمهما
وقال محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة مرض ابو يوسف في زمن ابي حنيفة مرضا خيف عليه
فعاده ابو حنيفة ونحن معه فلما خرج من عنده وضع يديه على عتبة بابه وقال ان يمت هذا الفتى
فانه اعلم من عليها واوما الى الارض وقال ابو يوسف سالني الاعمش عن مسألة فاجبته فيها فقال لي
من اين لك هذا فقلت من حديثك الذي حدثتنا انت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا يعقوب
اني لاحفظ هذا الحديث قبل ان يجتمع ابواك وما عرفت تاويله حتى الان وقال هلال
بن يحيى كان ابو يوسف يحفظ المغازي وايام الناس والعرب وكان اقل علومه الفقه ولم يكن
في اصحاب ابي حنيفة مثل ابي يوسف وذكر ابو الفرج بن المعافا بن زكريا النهرواني في كتاب
الجليس والانيس عن الشافعي رضي الله عنه انه قال مضى ابو يوسف القاضي ليسمع المغازي من
محمد بن اسحق ومن غيره واخل بمجلس ابي حنيفة اياما فلما اتاه قال له ابو حنيفة يا ابا يوسف من
كان صاحب راية جالوت فقال له ابو يوسف انك امام وان لم تمسك عن هذا سالتك والله على رؤوس
الملا ايما كان اولا وقعة بدر او احد فانك امام لا تدري ايهما كان قبل الاخر فامسك
عنه وذكر في الكتاب المذكور ايضا عن علي بن الجعد ان القاضي ابا يوسف كتب يوما كتابا
وعن يمينه انسان يلاحظ ما يكتبه ففطن به ابو يوسف فلما فرغ من الكتابة التفت اليه
وقال له هل وقفت على شيء من خطاي فقال لا والله ولا حرف واحد فقال له ابو يوسف جزيت
خيرا كفيتنا مؤونة قراءته ثم انشد :. كانه من سوء تاديبه :. اسلم في كتاب سوء الادب :.
قال حماد بن ابي حنيفة رايت ابا حنيفة يوما وعن يمينه ابو يوسف وعن يساره زفر وهما
يتجادلان في مسألة فلا يقول ابو يوسف قولا الا افسده زفر ولا يقول زفر قولا الا
افسده ابو يوسف الى وقت الظهر فلما اذن المؤذن رفع ابو حنيفة يده فضرب بها فخذ

Copyright © King Saud University